عالم فقدناه

أستاذنا العلَّامة العتر كما عرفته

وقفات وصور وفوائد وعبر

د. أحمد الفاضل

جامعة السلطان محمَّد الفاتح الوقفية - تركيا

رحل من قريب أستاذنا العلَّامة الدكتور نور الدين عتر بعد حياة علميَّة انتشر أريجها وعبقها في أنحاء الأرض، ففي كلِّ بقعة من بقاع الإسلام طالبٌ للشيخ استفاد منه مشافهة ولقاء، أو استقى من كتبه النافعة التي تميَّزت بالدقَّة والرصانة العلمية، فرحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة وجمعه إلى من سبقه من مشايخه مع من أحبَّ سنَّته وخدمها وعاش في ظلالها، سيِّدنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم وآله وصحبه أجمعين.

سأقف في هذه السطور عند مشاهد وصور وومضات من حياة الشيخ العلمية، يستفيد منها طالبها والراغب فيها، وكلُّ ما أذكره في هذه الكلمات سمعته من الشيخ مباشرة في أوقات متفرِّقة طوال سنوات عدَّة، وكان أكثرها في مرحلة الدراسات العليا التي دامت سنتين، كنَّا نجلس بين يديه ثلاثة أيَّام في الأسبوع، في كلِّ يوم ثلاث ساعات على الأقلِّ.

النشأة والعائلة الطيِّبة

نشأ شيخنا في بيت علم وفضل، فالوالد رجل تاجر صالح محبٌّ للعلم والعلماء، والأمُّ كريمة الشيخ العلَّامة نجيب سراج الدين، وشقيقة العلَّامة الشيخ عبد الله سراج الدين.

من هذه الدوحة الطيِّبة في نسبها، الراسخة في تقواها، الأصيلة في علمها، بزغ نجم شيخنا الساطع في سماء العلم والعلماء والأولياء.

رؤيا صالحة والدراسة في الأزهر

درس الشيخ في المدرسة الخسروية الشرعية في حلب، وحاز منها الثانوية الشرعية، ولمَّا تخرَّج أراد أن يتابع دراسته في كلِّيَّة الشريعة بجامعة دمشق، لكنَّ والده الرجل الصالح -كما سمعت منه- رأى رؤيا أنَّ ولده نور الدين تحطُّ به الطائرة في القاهرة، ففهم منها أنَّها إشارة إلى أن يدرس ولده في الأزهر الشريف، فسافر إلى القاهرة والتحق بكلِّيَّة الشريعة، ولا ريب كان في ذلك خيرٌ وفتحٌ من الله تعالى.

وكان لدراسته في الأزهر الشريف أثرٌ عظيم في حياته العلمية، فقد لقيَ أكابرَ العلماء في عصره، ونهل من مَعينهم العذب، وبعد تخرُّجه في كلِّيَّة الشريعة -وكان الأوَّل على دفعته- التحق بكلِّيَّة أصول الدين قسم التفسير والحديث، وكان النظام الجامعي يأذن بأن يتابع طالب الشريعة دراساته العليا في كلِّيَّة أصول الدين، وهكذا كان، فتخصَّص في علوم الحديث بعد تلقِّيه التفسير وأصوله عن كبار علماء كلِّيَّة أصول الدين، وكان الأوَّل أيضًا على دفعته.

مشايخه في الأزهر الشريف

وممَّن تلقَّى عنهم في الأزهر واستفاد من علمهم وحالهم:

العلَّامة الشيخ مصطفى مجاهد، وكان أستاذنا يذكره لنا كثيرًا، وكان ضريرًا بصير القلب، أعجوبة في العلم والفهم والدقَّة، وكان تخصُّصه الدقيق في الفقه المقارن، وذكر لنا أنَّه كان يطلب إليهم أن يتناقشوا ويناقشوا في أدلَّة كلِّ مذهب؛ حتَّى لا يبقى محلٌّ للنقاش في المسألة من جهة اللغة والحديث والأصول والقواعد، بحيث تحضر العلوم الإسلامية كلُّها، وهذه الطريقة قوَّمت مدارك الطلَّاب وحملتهم على تقدير المذاهب الفقهيَّة وأئمَّتها؛ إذ كلُّ إمام له أدلَّته وحججه في هذه المسائل غير قطعيَّة الدلالة أو غير قطعيَّة الثبوت.

ومن لطائف الشيخ مصطفى مجاهد التي سمعتها من أستاذنا، أنَّه كتب مقالات في مجلَّة الأزهر أو غيرها يردُّ فيها على شيخ الأزهر وقتئذٍ الشيخ محمود شلتوت، وكان عنوانها (**الشيخ محمود شلتوت يردُّ على الشيخ محمود شلتوت**)!

وأراد من ذلك أنَّ فتاوى الشيخ شلتوت في الربا التي اعترض عليها العلماء، يردُّ عليها الشيخ شلتوت في مواضع أخرى من كتبه، فما قاله في الفتاوى يخالفه ما قاله في تفسيره، فهو ردٌّ على كلامه بكلامه..!

ومنهم العلَّامة الورع الشيخ محمَّد عبد الوهَّاب البحيري، وكان أستاذنا كثير الذكر له والثناء عليه، ولمّا كتب أطروحته للعالِمية أو بعضها، نظر فيها الشيخ البحيري ونبَّهه على مسائل مهمَّة تتعلَّق بالرسالة وبالمنهجيَّة، وقد ضرب (شطب) على مواضع عدَّة من الأطروحة، وقال له هذه الجملة التي يتحتَّم على طلَّاب الدراسات العليا أن يُفيدوا منها.

قال: «**يجب أن تكون أقسام الرسالة بأبوابها وفصولها ومباحثها وفقراتها بمنزلة السهم أو المؤشِّر الذي يشير إلى عنوان الرسالة ويتَّصل بها، وما كان بعيدًا عن ذلك، فهو تكثير وتشقيق في الكلام يشبه اللغو**.. »!. أو كما نقل إلينا أستاذنا، وأنا أروي ذلك بالمعنى، وقد مضى على ما أقول وأنقل أكثر من ربع قرن.

ومنهم العلَّامة النحوي العَلَم الشيخ محمَّد محيي الدين عبد الحميد، وكان مشرفًا على أطروحة أستاذنا لنيل العالِمية (الموازنة بين جامع الترمذي وبين الصحيحين)، وكان في الأصل في كلِّيَّة اللغة العربية وعميدًا لها، ثمَّ نُقِل إلى كلِّيَّة أصول الدين عقوبة له لبعض مواقفه في الحقِّ، كما فهمت من أستاذنا مع غياب التفاصيل عني، فكان نقله لأصول الدين خيرًا وبركة على طلَّابها، كما قال أستاذنا، وكان الشيخ محمَّد محيي الدين عبد الحميد من أهل الذكر وذا طريقة صوفية، وجرت لأستاذنا -وقد استأذنه ليرجع إلى سورية مؤقَّتًا لأمر- حادثة معه، تدلُّ على تقواه وفراسته، لكن غابت عنِّي أحداثها، فلا أريد أن أتقوَّل في ذلك.

ومنهم العلَّامة الشيخ محمَّد محمَّد السماحي، صاحب الكتاب المشهور في

مصطلح الحديث (المنهج الحديث في علوم الحديث)، وكانت علاقته به وشيجة كما كان يحدِّثنا.

والعلَّامة الشيخ عبد الوهَّاب غزلان، صاحب كتاب (البيان في مباحث من علوم القرآن)، وغيرهم كثير.

وكان له علاقة وصلة مع عائلة (عبد الخالق) الأزهرية، ومنهم العلَّامة المشهور الشيخ مصطفى عبد الخالق أستاذ الأصوليين الأزهريين في زمانه، وشقيقه العلَّامة الشيخ الأصولي عبد الغني عبد الخالق، وشقيقهم الأصغر الشيخ أحمد عبد الخالق، رحمهم الله تعالى. وذكر أنَّ الشيخ أحمد من أهل التصوُّف والذكر، وكان رجلًا صالحًا مباركًا، وكان إمامًا في جامع السيِّدة نفيسة -إن لم أخطئ- وبقيَ كذلك حتَّى رحل إلى الرفيق الأعلى.

لكنِّي لم أسمع من أستاذنا أنَّ العلَّامة الشيخ مصطفى والعلَّامة الشيخ عبد الغني قد درَّساه لمّا كان طالبًا في كلِّيَّة الشريعة، وإن كان يغلب على ظنِّي أنَّهما كانا من أساتذته في تلك الحقبة.

وأذكر هنا كلمة للفائدة نقلها لنا أستاذنا عن أحد أشياخه الكبار من علماء التفسير في الأزهر، **العلَّامة الشيخ إبراهيم زيدان**، وبقيت كلمته على صفحة قلبي، قال لهم بلهجته المصرية: «**يا بنيَّ شوف القرآن عايز إيه**..»، أي: انظر ما يريد منك القرآن عندما تفسِّره، كأنَّه يقول: لا تقهره على ما تريد، لكن فسِّره بما يريد.

وكان أستاذنا حريصًا كلَّ الحرص على الاستفادة من مشايخه في الأزهر، فكان يكتب كلَّ ما يملونه على الطلَّاب من فوائد وفرائد، حتَّى في المقرَّرات غير الاختصاصيَّة، كالتاريخ ونحوه، وقال: لمَّا عُيِّنت في كلِّيَّة الشريعة بجامعة دمشق، كُلِّفت في البداية بتدريس بعض الموادِّ من غير اختصاصي، فكنت أستفيد ممَّا سمعته وكتبته من مشايخي في الأزهر.

وهنا أقف عند أمرٍ ذي بال يحتاج إليه كلُّ طالب علم في زماننا، هذا الذي صار العلم فيه طلب شهادات، فترى الطالب مجافيًا كتابه طوال السنة، ثمَّ يُقبِل عليه يوم

الامتحان إقبال السقيم على الدواء، فيحفظ أو يخمِّن، ثمَّ يخطُّ ما بقيَ في ذهنه من بقايا مختلطة كالماء العكر على ورقة الاختبار، ثمَّ ينساه من يومه وليلته!

ولقد سمعت من أستاذنا أنَّه كان يتنزَّه أيَّام الامتحان وينظر في الكتاب نظرة المثبِّت للمعلومة المقرَّر لها، لا نظرة الحافظ المبتدئ من ساعته، فهي أيَّام راحة عنده؛ لأنَّ دراسته كانت متَّصلة غير منقطعة، فهو على وئام دائم مع الكتاب والدروس، وفي أيَّام الامتحان يُروِّح عن نفسه قليلًا على ضفاف النيل، وقد وقع ذات يوم من أيَّام الامتحانات أنَّه كان يتنزَّه، فرأى أحد أشياخه مع أهله، فاستحيا أستاذنا وسلَّم عليه وانصرف.. ولم يذكر اسم شيخه الذي رآه يومها.

علاقته بأقرانه وعلماء عصره

كان الإمام الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى القدوة الأولى له من علماء عصره، ولا يخلو درس أو مجلس من ذكره، وهذا معروف عن أستاذنا، أدركه كلُّ من سمعه أو حضر دروسه، وكثيرًا ما يشير إلى كتب الشيخ وينصح بالرجوع إليها في مؤلَّفاته كلِّها، وكان إذا ذكره بعد وفاته اغرورقت عيناه بالدموع، مع حمرة فيها تحكي عمَّا في قلبه.

وقلت له مرَّة بعد وفاة الشيخ: سلِّموا على سيِّدنا الشيخ عبد الله عندما تزورون حلب، فقال لي: يا شيخ أحمد، الشيخ توفِّي من سنتين، فقلت نعم، لكن بلِّغوه السلام في مرقده المبارك، مع رجاء الدعاء منكم هناك، فقال تكرم.

وقد لحظت أنَّ أستاذنا كان يستشير شيخه الإمام في أموره المهمَّة كلِّها، وأذكر أنِّي سمعته يقول: لمّا دُعيت للتدريس في بعض الأماكن شاورت شيخنا، فقال: **درِّسْ حيث تنفع غيرك وتقول كلمة الحقِّ**.

وسمعت منه نقلًا عن الشيخ عبارة بديعة، هي: **لا تنكروا على أهل الورع ما يُلزمون به أنفسهم من ذلك، فسلسلة الورع العالي موروثة عن سيِّدنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن طريق أصحابه ومن بعدهم إلى يوم الناس هذا، وستبقى في هذه**

الأمَّة إلى يوم الدين.

وكان يرشدنا دائمًا للنظر في كتبه المباركة والاستفادة منها، فهي تجمع بين العلم الغزير، والإرشاد والتزكية، وإصلاح القلوب، وقرَّر علينا في الدراسات العليا في التفسير الموضوعي بعض تلك الكتب، (هدي القرآن)، وأقرأنا الكتاب كلَّه مفصَّلًا بنفسه.

وكان له علاقة بالعلَّامة المقرئ الفقيه الشيخ عبد العزيز عيون السود رحمه الله تعالى، فكان كلَّما مرَّ بحمصَ عرَّج عليه لتلك الصلة الوشيجة بينه وبين الشيخ عبد الله سراج الدين.

وذكر لنا أنَّه سمع من الشيخ عبد العزيز آراءً حول بعض القضايا الفقهية وبعض أمارات الساعة، وكيف فسَّرها الشيخ عبد العزيز، وذكرها للشيخ عبد الله، فكان الشيخ يقول: هو قال هذا! يقولها متعجِّبًا، وأستاذنا يقول له وهو يضحك: نعم، هو قالها. رحم الله تعالى تلك الأرواح الطاهرة ونفعنا بها في البرازخ كلِّها.

وكان يجلُّ شيخنا العلَّامة المقرئ الفقيه الشيخ عبد الرزاق الحلبي، ويحاول أن يقبِّل يده، ويقول شيخنا وأستاذنا، ومرَّة سمعته يستدلُّ بفتوى في مسألة سمعها أو نُقلت له عن شيخنا.

وكنا مرَّة في زيارته في بيته بدمشق مع ثلَّة من الإخوة، فنقل له أحد الإخوة سلام العلَّامة الشيخ محمَّد هاشم المجذوب عليه، فذكره بخير، ثمَّ قال: **ذاك رجل لم تَلِن له قناة في الحقِّ**. رحمهم الله تعالى وأعاد علينا من بركاتهم.

أمَّا علاقته بأقرانه فكانت طيِّبة، يحرص كلَّ الحرص على ألَّا يطعن في أحد منهم، وأذكر هنا موقفًا نبيلًا له بعد الانتهاء من دراسة تمهيدي الماجستير، وكانت مدَّته سنتين كاملتين مع دوام إلزامي كلَّ يوم ما عدا أيَّام الإجازة، حيث قلت له: ما رأيكم أن يكون موضوع رسالة الماجستير دراسة علمية نقدية للتفسير المنير للشيخ الدكتور وهبة الزحيلي، فأبى، وقال لي: **أخشى أن يؤثِّر على العلاقة بيني وبين زميل جليل**، أو قال كلمة نحو ذلك. وكان إذا أراد أن يردَّ على بعض الأخطاء العلمية من

العلماء المعتبرين ذوي الشأن، ألمح إلى ذلك إلماحًا ولم يصرِّح، وكثيرًا ما سمعت منه اعتراضات علمية على بعض هؤلاء العلماء الكبار دون ذكرٍ لأسمائهم.

وسألته مرَّة عن كتاب حقَّقه تحقيقًا بديعًا، ثمَّ رأيت نسخة منه بتحقيق بعض الفضلاء بعد طبعة أستاذنا، هي دونها في كلِّ شيء، فقال لي: يا أحمد علَّمني أبي كلمة، وكان تاجرًا، وكانت بضاعته متميِّزة، فكان بعض الناس يقلِّدونها، فقال: **يا ولدي! الحمد لله تعالى أنَّنا نُقَلَّد ولا نقلِّد غيرنا**، ثمَّ قال أستاذنا: وأنا أقول كذلك، ولم يقدح أو يذكر صاحب ذلك التحقيق بكلمة تشينه.

وجاء ذكر العلَّامة الدكتور صبحي الصالح رحمه الله تعالى وكتابه (علوم الحديث ومصطلحه) في كتاب (منهج النقد) في مبحث التدليس، فأطرى أستاذنا كتابَ الدكتور الصالح، وخاصَّة في مقدِّماته حول تدوين السنَّة وكتابة الحديث، فقال ما معناه: له تحقيقات فريدة في هذا الشأن، ونصحنا بالرجوع إليه.

ثمَّ قال لنا: انتقدت العلَّامة الصالح في مسألة التدليس؛ لأنَّه قال: فما أقلَّ الذين سَلِموا من التدليس! فقلت أنا: فما أكثرَ مَنْ سَلِم من التدليس! ولما قدَّمت (منهج النقد) ليكون بحثًا في الترقية العلمية، كان الدكتور الصالح أحد المُحكِّمين الذين أنيط بهم النظر في الكتاب، وقد قرأ انتقادي له، فما منعه ذلك من الإنصاف، فأثنى على الكتاب وأشاد به.

وأمَّا المنحرفون والمبتدعة والنابتة، فكان يلسعهم في كتبه ومحاضراته لسعًا، ويبيِّن عَوَر فكرهم دون ذكرٍ لأسمائهم، كما صنع في ردِّه في كتاب (ماذا عن المرأة)، على الذي قال بتحريم الذهب المُحَلَّق على المرأة، فخالف الأمَّة والأئمَّة! وكذلك في ردِّه على الرجل نفسه في مسألة صلاة التراويح، وأنَّ الزيادة على إحدى عشرة ركعة بدعة، في كتابه (هدي النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في الصلوات الخاصَّة)، وغير ذلك.

وفي هذا المقام، أروي عن أستاذنا أمرًا عجبًا عن شيخ الأزهر السابق، الشيخ محمَّد سيِّد طنطاوي رحمه الله تعالى، قال لنا: كان الشيخ محمَّد سيِّد طنطاوي في

الستِّينيَّات يخطب في أحد مساجد القاهرة، وكان خطيبًا مفوَّهًا، وكان شديدًا في بيان الحقِّ والصدع به. قال أستاذنا: فكنَّا نخشى عليه من الاعتقال أو المنع من الخطبة. ثمَّ انتقد أستاذنا بعضَ مواقفه بعد إسناد مشيخة الأزهر إليه، ولمَّا التقيا في بعض المؤتمرات صارحه أستاذنا بما يراه خطأ وبيَّن له رأيه. رحمهم الله تعالى جميعًا.

علاقته بطلَّابه

أوَّل ميزة لأستاذنا في هذا المضمار، تشجيع طلَّابه على التحصيل ومتابعة الدراسة وكتابة البحوث، فكان يقول: انظروا إلى نعم الله تعالى عليكم. كم عدد الطلَّاب الذين كانوا معكم في المرحلة الابتدائية، ثمَّ في المراحل التي بعدها، ثمَّ في الجامعية؟ أكثرهم ترك العلم أو اكتفى بشيء منه، وأمَّا أنتم فقد اصطفاكم الله تعالى، فتابعتم حتَّى انتهيتم إلى الدراسات العليا.

وكان كثيرًا ما يردِّد مقالته حاثًّا لنا على الجدِّ في الطلب، قائلًا: **وِرد طالب العلم علمه**.

ومن شأنه أنَّه كان يأخذ بالعزيمة لا الرخصة في معاملة طلَّابه، فكان لا يترخَّص أو (يُمشِّي الأمور) كما يقولون؛ بل كانت أسئلته دقيقة، لا تخلو من نكت علمية لا يتأتَّى للطالب أن يجيب عنها إن لم يكن قد درس المقرَّر دراسة حقيقيَّة.

وأذكر في هذا المقام ما وقع لي مع كتابه (منهج النقد في علوم الحديث) المقرَّر علينا كاملًا في السنة الأولى تمهيدي ماجستير، قرأناه على الشيخ وأفدنا منه فوائد جمَّة، وشرعت في مراجعته قبل الامتحان بأسبوع تقريبًا، وزعمت في نفسي أنِّي سأكون متفوِّقًا في امتحانه، ثمَّ وقعت بين يدي مصادفة أسئلة من الكتاب لسنة سابقة، فنظرت فيها فإذا أنا عاجز عن الإجابة عنها إلَّا قليلًا! فأعدت قراءة الكتاب من جديد مع النظر في الدقائق والعوائص والمشكلات، فكانت النتيجة قريبة من التامَّة بفضل الله تعالى.

ولأستاذنا نظرات ثاقبة في التدريس واختيار الكتاب المنهجي المناسب لذلك،

فقال مثلًا: إنَّ كتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن) للعلَّامة الكبير الشيخ محمَّد عبد العظيم الزرقاني، من أعظم الكتب المعاصرة في هذا الفنِّ، وعلى طلَّاب الدراسات العليا الاستفادة منه ومن رصانة أسلوبه وبيانه، لكنَّه لا يناسب أن يكون مقرَّرًا جامعيًّا، واختار كتاب العلَّامة الدكتور الشيخ محمَّد أبو شهبة (المدخل لدراسة القرآن الكريم).

ومن منهجيَّته في ذلك، أنَّه كان يأمر طالب الماجستير الذي انتهى من الامتحان وشرع في البحث عن عنوان يكون بحثًا في اختصاصه، كان يأمره بالتفرُّغ ثلاثة أشهر أو أكثر يبحث في خلالها عن الكتب في اختصاصه، ثمَّ ينظر في مقدِّماتها وفهارسها، ويلخِّص ذلك في أسطر معدودات، ثمَّ يقدِّمها للشيخ لينظر فيها!

وكان يقول: عندما تطَّلع على هذه الكتب في اختصاصك، ثمَّ تنظر في فهارسها لا بدَّ أن تقع على جزئيَّة ما، تكون موضوعًا متميِّزا تستفيد منه وتفيد، وتكون قد عرفت أهمَّ الكتب في ذلك.

وأنا أقول اليوم: **إنِّي لأعجب من صنيع بعض طلَّاب الماجستير؛ إذ يأتيك قائلًا أريد عنوان بحث لأكتب فيه، أو اقترح لي عنوانًا، وهو يجهل معظم كتب اختصاصه الذي سيكتب فيه! لن يكون البحث بحثًا إلَّا إذا تشرَّبه عقلك وخالط بشاشة قلبك، فأين طلَّاب العلم اليوم من مثل هذا!**

من كلماته وأحواله

لمَّا ألَّف كتابه عن شيخه العلَّامة الشيخ عبد الله سراج الدين، أكرمني فأهداني نسخة منه عليها إمضاؤه الكريم، فقرأتها مرَّة وثانية، وفي النفس أن أقرأها ثالثة.

وممَّا ذكره أستاذنا من خصال الشيخ، أنَّه كان كثير الرؤيا لسيِّدنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقظة ومنامًا، وذكر بعض الرؤى المناميَّة، لكنَّه لم يذكر شيئًا عن الرؤية يقظة، فقلت له في ذلك: أليس صلاة سيِّدنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالأنبياء في رحلة الإسراء والمعراج تؤكِّد إمكان الرؤية يقظة؟ فقال لي: لم أتوسَّع

في ذلك لئلَّا يكون هناك لغط وعدم فهم من المبتدعة، ثمَّ قال لي كلمة لا أدري هل قالها لأحد غيري، قال لي: يا أحمد، **والدي رحمه الله تعالى كان يرى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقظة**.

ولمَّا توفِّي ولده محمَّد مجاهد، الطبيب الصالح المحبوب من جدِّه الإمام الشيخ عبد الله، وكان في نحو الثلاثين من عمره، أردنا أن نسافر إلى حلب للتعزية، وكنَّا في الامتحانات، فأرسل لنا أن ابقوا في امتحاناتكم، وقال للأخ المتَّصل به: **نحن تجاوزنا مرحلة الصبر ونحن الآن في مرحلة الرضا عن الله تعالى**.

ومن أحواله أنَّه كان شديد التعظيم لسيِّدنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فإذا ما ذُكر الحبيب صلَّى الله عليه وسلَّم ترى عينه تفيض بالدمع مع حمرة ظاهرة يسعى لإخفائها، لكن أنَّى للمحبِّ أن يكتم حبَّه! ويصدق فيه قول شيخنا العلَّامة الأديب الشيخ محمَّد صالح فرفور، رحمه الله تعالى:

مهما كتمت لظى شوقٍ يؤرِّقني ... قد يفضح القلبَ دمعُ العين أحيانًا

كتبه ومؤلَّفاته

بلغت مؤلَّفاته أكثر من خمسين كتابًا، مع كثرة أشغال أستاذنا وتدريسه في جامعات عدَّة، وإشرافه على مئات الرسائل، واختياره محكَّمًا للترقيات العلمية في جامعات كثيرة، ومن كتبه الجليلة:

ـ (منهج النقد في علوم الحديث)، وهو كتاب متميِّز؛ لأنَّه درس علوم المصطلح دراسة موضوعية، وأقصد من ذلك أنَّه ربط بين موضوعات علم المصطلح بطريقة بديعة قلَّما نجدها في غيره من المؤلَّفات.

وأنصح بقراءة هذا الكتاب الفذِّ، وخاصَّة مقدِّماته الفريدة وكذلك أواخره، فقد ردَّ على المنحرفين من المستشرقين وغيرهم، وكانت ردوده غاية في الدقَّة والإلجام للخصم، وكان هذا الكتاب سببًا لترقية أستاذنا إلى أستاذ دكتور من الأزهر الشريف، وقدَّم له العلَّامة الدكتور محمَّد أبو شهبة وأثنى عليه، وقد سمعت من شيخنا أنَّه

حذف بعض كلام العلَّامة أبو شهبة الذي يمدح فيه أستاذنا.

وسمعت من أستاذنا إطراء جليلًا في حقِّ العلَّامة الشيخ محمَّد أبو شهبة، وأنَّه كان من أكابر علماء الأزهر، وأنَّه جمع بين المعقول والمنقول، ثمَّ ذكر أنَّه لمّا كان أستاذًا في جامعة أمِّ القرى، أرادوه على شيء من فكرهم، وأن يلين لهم بعض اللين، فلم يستجب أو يجنح إلى ذلك الفكر مع كثرة المغريات؛ بل ثبت على مبادئه وأصوله العلمية، التي تلقَّاها في الأزهر وعاش ومات عليها معلِّمًا وداعيًا. رحمه الله تعالى وجزاه عنَّا خير الجزاء.

ـ (إعلام الأنام في شرح بلوغ المرام)، في أربعة مجلَّدات ضخام، وميزته التحقيق في نسبة الأقوال لأصحابها من أئمَّة المذاهب الفقهية.

وكتبَ في علوم القرآن الكريم، والتفسير، وآيات الأحكام، وأحكام الحجِّ والعمرة، والفكر المسلم، والربا، والدراسات الأدبية في القرآن الكريم والحديث الشريف، وهي معروفة، طارت بها الركبان في كلِّ مكان، كذلك تُرجم كثير منها.

رحم الله تعالى أستاذنا الجليل، وجمعنا إليه في ظلِّ عرش الرحمن مع سيِّدنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم والنبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.